**خطبة: نور الدين زنكي.**

**الخطيب: يحيى سليمان العقيلي**

معاشر المؤمنين

الأحداث التي تمر بالأمة اليوم ، لاسيما مايجري في الشام ، تقتضي منا أن نسترجع تاريخ أمتنا حين مرت بها أحداث كهذه ، لانستدعي التاريخ عباد الله لنأنس بقصصه ، ولكن لنستجليٓ عبَره ودروَسه ، فإنما التاريخ يعيد نفسه ، وعندنا أهل الإيمان أنّ سنََن الله تعالى لاتتبّدل ولاتتّحول ، من أخذ بأسبابها نال نتائجها ، قال تعالى "اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ( روه الحاكم في مستدركه وصححه الالباني)

نتحدث اليوم عن قائدٍ من قيادات الإسلام الشامخة، وقامةٍ من قاماتها السامقة ، شبّه علماءُ التاريخ سيرتَه بسيرةِ الخلفاء الراشدين ، وفي صف عمر بن عبدالعزيز ، وهو من القرن السادس الهجري

إنه الـمَلِكُ العَادِلُ، نُوْرُ الدِّيْنِ مَحْمُوْدُ ابنُ الملك عِمَادِ الدِّينِ زنكي

ولد يوم الأحد السابع عشر من شَوَّالٍ، سَنَة إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمائَةٍ للهجرة في حلب، ونشأ في كفالة والدهِ صاحب حلب والموصل ، وتعلم القرءان والفروسية والرمي، وكان شهمًا شجاعًا ذا همةٍ عالية، وقصدٍ صالح، وحرمةٍ وافرة وديانةٍ بينة.

كَانَ نُوْرُ الدِّيْنِ حَامِلَ رَايَتَيِ العَدْل وَالجِهَاد، قلَّ أَنْ تَرَى العُيُونُ مِثْلَه، افتَتَح حُصُوْنًا كَثِيْرَة، وَأَظهرَ السُّنَّةَ وأمات البدعة، وَبَنَى الـمَدَارِسَ والمساجد بِحَلَبَ وَحِمْصَ وَبَعْلَبَكَّ، وَالجَوَامِعَ ، هو أولُ من ابتنى دارًا للعدل، وكان يجلس فيها في الأسبوع أربعة أيام، ويحضر القاضي والفقهاء من سائر المذاهب، وَيَأْمر بِإِزَالَة الـحـَاجِب وَالبوَّابين، حتى يصل إليه الضعيف والفقير، فيكشف المظالم، وينصف المظلوم من الظالم.

قَالَ ابْنُ الأَثِيْرِ: طَالعتُ السِّيَر، فَلَمْ أَرَ فِيْهَا بَعْد الخُلَفَاء الرَّاشدين وَعُمَر بن عَبْدِ العَزِيْزِ أَحْسَنَ مِنْ سِيرته، وَلاَ أَكْثَر تَحرِّيًا مِنْهُ لِلْعدل، وَكَانَ لاَ يَأْكُل وَلاَ يَلبس وَلاَ يَتصرف إِلاَّ مِنْ مِلْكٍ لَهُ ، قَدِ اشترَاهُ مِنْ سهمه مِنَ الغَنِيْمَة. وَكَانَ يَتهجَّد كَثِيْرًا، وَكَانَ عَارِفًا بِمَذْهَب أَبِي حَنِيْفَةَ.اهـ

رأى يوماً رجلاً يحدث آخر ويومئ إليه ، فبعث الحاجبَ ليسأله ما شأنه ، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على نورِ الدين حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضي ، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك أقبل مع خصمه ماشياً إلى القاضي ،، وأرسل إلى القاضي أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم . وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي حتى انفصلت الخصومة والحكم ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحقُ لنور الدين عليه ،

فلما تبينّ ذلك قال نور الدين : إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دُعي إليه ،، فإنما نحن معاشر الحكام خدمٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولشرعه . فنحن قائمون بين يديه ، طوعََ مراسيمه ،،، فما أمر به امتثلناه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ، وأنا أعلم أنه لا حق للرجل عندي ، ومع هذا أُشهدكم أني قد ملكّته ذلك الذي إدّعى به ووهبته له.

كان نور الدين – رحمه الله - مهيباً وقوراً شديد الهيبة في قلوب الأمراء ، لا يتجاسر أحدٌ أن يجلس بين يديه إلا بإذنه ، ومع هذا كان إذا دخل أحدٌ من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجادته في وقار وسكون ، وإذا أعطى أحدا منهم شيئاً مستكثراً يقول : « هؤلاء جندُ الله وبدعائهم نُنصر على الأعداء ، ولهم في بيت المال حقٌ أضعاف ما أعطيهم ، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنّة علينا ».

وكان يجمع الفقهاءَ عنده والمشايخَ ويكرمهم ويعظّمَهم وكان يحب الصالحين. نال بعضُ الأمراءِ مرةً عنده من بعض الفقهاء ، فقال له نور الدين: « ويحك! إنْ كان ما تقول حقاً فله من الحسنات الكثيرة الماحية لذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت ، إن كنت صادقاً ، على أني والله لا أصدّقك ، وإن عدت ذكرته أو أحداً غيره عندي بسوء لأوذينك ». فكفَّ عنه ولم يذكره بعد ذلك. هكذا كان القادة يطهّرون مجالسهم من المساس بالعلماء والصالحين .

كان معظّما لشرع الله وقافا على حدود الشريعة

كتب إليه الشيخ عمر بن الملا : « إن المفسدين قد كثروا ويُحتاج إلى سياسة ، ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أُخذ إنسان في البرية، من يجيء يشهد له؟»

فكتب إليه نور الدين على ظهر كتابه: « إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها لنا ، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى ، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه والعقول المظلمة لا تهتدي . والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم ».

فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب وجعل يقول انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك وكتاب الملك إلى الزاهد.

كان إذا إفتتح بلدا عمّرها ، فقد سُلِّمت إِلَيْهِ دِمَشْقُ، في سنة تسع وأربعين فأحسن إلى أهلها، وحَصَّنهَا، وَوسَّع أَسواقهَا، وبنى لهم المدارس والمساجد والربط، ووسّع لهم الطرق على المارة، وبنى عليها الرصافات، وَأَنشَأَ الـمَارستَان(دار المرضى)، ودارًا لاستماع الحَدِيْث وإسماعه، وَأَبطل الـمُكُوْس.

كان زمنُه زمنَ مواجهةٍ مع الصليبيين الذين أحتلوا القدس وأنشأوا لهم ممالك في بلاد الشام ، وكانوا يخططون لإحتلالها كلها مع مصر ، فكانت خطةُ نور الدين لمواجهة ذلك هي ترسيخ العدل والعناية بالعلم والعلماء وبناء قوة عسكرية مدربة للمسلمين ، ثم توحيد بلاد الشام ومصر، لينطلق بعد ذلك لتحرير بيت المقدس فالشام كلها من الصليبيين ، وقد بنى منبرا لهذه الغاية ليوضع في المسجد الأقصى بعد تحريره وكان له ماأراد ،

فقد جَهَّز جَيْشًا، وافْتَتَحَ به مِصْرَ، وَصَفَتِ الدِّيَار المِصْرِيَّة لنَائِبِهِ أَسَدِ الدِّيْنِ شِيرْكُوْه، ثُمَّ لِصَلاَح الدِّيْنِ الأيوبي ، فَأَقَامَ الدعوَة العَبَّاسِيَّة ، بعد أن أسقط دولة العبييدين الروافض ، الذين كانت دولتهم وبالا على أهل الأمة ، قتلوا العلماء وانحرفوا بعقيدة البلاد ودينها ومزّقوا وحدتها ، والحال يتكرر اليوم كما نرى عباد الله ، بل وفي كل عصر من عصور الإسلام يقف أولئك الباطنيون الطائفيون خنجرا مسموما في خاصرة الدولة المسلمة ،

لذلك كانت خطةُ نورِ الدين القضاءُ على هذه الدولة الخبيثة ، وتصفية عقيدة الأمة ودينها ، لينطلق في توحيدِ الشام ومصر ، ويبدأ معركة تحرير بيت المقدس وبلاد الشام ، وتحقق له ماأراد على يد خليفته صلاح الدين الأيوبي الذي هزم الصليبيين في حطين وحقق نصرا تاريخيا ، كان مقدمةً لفتحِ بيت المقدس في رجب عام ٥٨٣ هجرية ، ويجلب له منبرَ نور الدين ليضعه في قبله المسجد الأقصى محققا أمنية قائده ، وكان يوم فرحٍ وغبطةٍ عمّت أرجاء العالم الإسلامي بأسره ، نسأل أن يرينا إياه تحريرا للأقصى وبلاد الشام جميعا ، بعزته وحكمته جلّ وعلا ،فهو العزيز الحكيم ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه

معاشر المؤمنين

لقد رسم نورُ الدين رحمه الله للأمةِ طريقَ النصر والعزة والتحرر ، هي أحوج ماتكون لسلوكه اليوم ، إحياء الدين في النفوس ، والتربية الجهادية للشعب ونشرُ العلم وتوقيرُ العلماء ، العلماءَ العاملين الذين يقولون بالحق وبه يحكمون ، وترسيخُ العدل ومحو الظلم ، وتحقيقُ التلاحم الصادق بين الحاكم والمحكوم ، ثم القضاءُ على النفاق وأهله والتصدي لمشروعه الطائفي المتجدد ، والدعوة ُلمشروع الأمة ، القائمِ على وحدتها وإتحادها وتعاونها لمواجهة هذه المؤمرات المتجددة على الأمة،

تلك عباد الله معالمَ طريقِ النصر والعزةِ والسؤدد ، ليأخذ بها قادةُ الأمة وعلماؤها وشعوبها ، لا طريق غيرها ، فهي الطريق الموصلة ، أرشد إليها القرآن الكريم ، ودلّ عليها نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ، وصدقّها أولئك الفاتحون الأبطال من أمتنا . "فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (35 محمد)